الشيخ محمد عياد الطنطاوي

هو محمد بن سعيد بن سليمان عياد المرحومي الطنطاوي الشافعي، والمرحومي نسبه إلى قرية محلة مرحوم إحدى قري مركز طنطا والتي ينتمي إليها والده الذي كان يتاجر ببعض البضائع كالأقمشة والبن والصابون ونحو ذلك، ووالدته من قرية الصافية التي تتبع مركز دسوق حاليا، وملك والده بيوتاً في مدينة طنطا وقرية الصافيه وقرية نجريد

إحدى قرى مركز بسيون، وغلب على محمد لقب الطنطاوي نسبه لطنطا المدينة التي تعلم بها وعلم.

ولد الشيخ الطنطاوي في نجريد عام 1225هـ/ 1810م، وبدأ يتردد على الكتاب في طنطا وهو ابن السادسة ، فحفظ القرآن الكريم وفي الثالثة عشر من عمره انتقل مع عمه إلى القاهرة فترك طنطا وكان يزورها في الموالد وعاد الطنطاوي إلى طنطا في عام 1827م عندما توفي والده ومنحه شيخه مصطفى القناوي شيخ الجامع الأحمدي اجازه في التدريس في 3 اغسطس سنة 1828م وهو ابن الثامنة عشرة من عمره، وكانت الاجازة في كتب الحديث النبوي الستة (البخاري والنسائي والترمذي وأبو داود ومسلم وابن ماجه) بالإضافة إلى موطأ ابن مالك.

ثم عاد إلى الأزهر وتعلم على يد مشايخ عصره مثل الشيخ حسن العطار شيخ الأزهر (توفي 1835م)، والشيخ إبراهيم الباجوري شيخ الأزهر (توفي 1861م)، والشيخ محمد الكومي والشيخ إبراهيم السقا، وبدأ بإلقاء الدروس في الأزهر الشريف وذلك عام 1830م وظل به عشر سنوات حيث كان يدرس علوم الدين لطلبة الأزهر واكتسب شهرة واسعة كعالم دين وفقيه في اللغة كما اتجه نحو الأدب وما يتعلق به من دراسات في الشعر والمقامات، وله الكثير من الشعر الحسن والنثر المستحسن.

كما قام بالتدريس في المدرسة الإنجليزية بالقاهرة (مدرسة الإرسالية البروتستانتية) فاتصل بكثير من الأوروبيين المقيمين بمصر وتوافدوا عليه ليعلمهم اللغة العربية خارج العمل الجامعي فاشتهر بين الجالية الأوروبية في القاهرة ومن تلاميذه المستشرقين: الفرنسي ف. فريستنيل والذي كان يعمل دبلوماسياً وهو صاحب كتاب " رسائل في تاريخ العرب " الذي ذكر في مقدمته أن الطنطاوي معلمه كان تقريبا العالم

الوحيد في مصر الذي عمل بحب وشغف على دراسة الآثار القديمة للثقافة العربية، والإنجليزي ي. لين الذي اعتبر الطنطاوي أول لغوي في عصره وله كتب ومؤلفات عن عادات وتقاليد المصريين، والروسي ن. موخين والذي عمل مترجماً في القنصلية الروسية بمصر منذ عام **1835**م ، وكان شديد الاعجاب بمعلمه الطنطاوي وتعلم على يديه الشعر العربي القديم وقرأ عليه المعلقات.

ومن تلاميذه أيضا العلامة الشيخ عبد الهادي نجا الابياري، والشيخ يوسف الأسير وهو سوري الأصل (توفي **1889**م)، والشاعر الأديب إبراهيم مرزوق (توفي **1866**م).

اصيب الطنطاوي بالطاعون في عام **1252**هـ/ **1836**م، ومكث في معاناة لمدة عشرة أيام بلا نوم وغاب عنه الإدراك والإحساس حتى شافاه الله وتعافى ، واشيع خبر وفاته ولعل كان هناك من يتمني موته بعد أن رموه بتهمة ترويج البدع اذ انصرف إلى الشعر والأدب بدلاً من الانصراف إلى الفقه والحديث وكان المشتغلون بالأدب من علماء الأزهر في وقته قليلين يعدون على أصابع اليد كشيخه حسن العطار وفي ذلك يقول :

تمني أناس أن أموت وإن أمُت		فتلك طريق لست فيها بأوحـــد
وإن أظهروا موتي فليس بمنكر		إذا أظهر الشيطان موت محمـد

وعندما طلب وزير الخارجية الروسي آنذاك ك.ف. نيسيلرودي من القنصل الروسي في مصر الكونت ميديم أن يرشح أستاذ للغة العربية والشريعة الاسلامية للتدريس بمدرسة الالسن الشرقية التابعة للوزارة حيث كانت روسيا وقتها تهتم باللغات الشرقية مثل التركية والفارسية والصينية والمغولية بجانب العربية، فتم دعوة الشيخ الطنطاوي للعمل في روسيا فقبل الدعوة بعد إلحاح القنصل عليه وحصل على الموافقة من محمد علي باشا حاكم مصر في ذلك الوقت.

وتوجه إلى روسيا في رحلة زار فيها الكثير من البلاد فغادر في 26 مارس 1840م عن طريق البحر وركب باخرة نمساوية من الإسكندرية وبعد أن قطعت بحر مرمره وصلت إلى إسطنبول حيث اقام هناك في الحجر الصحي ثم غادر ووصل إلى أوديسا على ساحل البحر الأسود في 25 إبريل ومن هناك غادر إلى كييف ووصلها في 25 مايو ثم واصل رحلته إلى أن وصل إلى سانت بطرسبورج في 29 يونيو من نفس العام بعد سفر دام ثلاثة اشهر ونصف شهر قضي منها شهرين أو أكثر في الحجر الصحي .

وعندما وصل روسيا استقبل بالحفاوة وبدء عمله بإلقاء المحاضرات في كلية اللغات الشرقية في أول اغسطس من نفس العام 1840م، وكان يُدرس الترجمة من الروسية إلى العربية والخطوط الشرقية وقراءة المخطوطات والمحادثة باللغة العربية كما أنه درس تاريخ العرب في عام 1855م، وظل يعمل بالتدريس خمسة عشر عاما متواصلين لم يغادر روسيا منذ قدومه إليها إلا مرة واحدة زار خلالها القاهرة و بلده الأم طنطا وكانت في صيف عام 1844م.

واهتم خلال زياراته بجمع المخطوطات الشرقية وعاد في خريف العام نفسه، وفي أثناء حرب القرم بين الدولة العثمانية وروسيا قطعت علاقته بمصر التي كانت في صف الدولة العلية وقدمت المساعدات العسكرية لها، ومن زملائه الذين كان بينهم مراسلات العلامة الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي والشيخ محمد قطة العدوي والشيخ إبراهيم الدسوقي والشيخ محمد الاشموني.

وكان الطنطاوي ملماً بست لغات أخرى بجانب العربية فأجاد الروسية والفرنسية والتركية والفارسية والتترية ولم تؤثر إقامته الطويلة في روسيا وحضارتها الغربية على عقيدته ودينه فيقول في قطعة شعرية أرسلها لأحد اصدقائه بمصر :

أنا بين قوم لا أدين بدينهم		أبـــداً، ولا يتـــدينون بـــديني

وتم تكريمه ومنح الأوسمة تقديراً على علمه ومجهوداته الأدبية فمنحه القيصر الروسي وسام القديسة آنا عام **1850**م لجهوده في التدريس لطلاب جامعة بطرسبورج، كما منحه وسام ستانيسلان وحصل على ميدالية من ملك " فيرتمبرج" شكراً على قصيدة باللغة العربية وقد بلغت مكانته في روسيا أن عين مستشاراً في الدولة الروسية.

وله مؤلفات ومخطوطات كثيرة تدل على غزارة علمه وقد بلغت الواحد والأربعين مؤلفاً نذكر منها : تحفة أولي الالباب في اخبار بلاد روسيا، كتبه عام **1850**م واهداه إلى السلطان عبد المجيد، احسن النخب في معرفة لسان العرب، النحو العربي، ترجمة مختصر روسيا، اصلاح تحريف كتاب الايضاح في شرح سقط الزند، لابن الخطيب التبريزي، بغية المريد على مسائل التوحيد.

مسودات لتاريخ العرب، تعاليق على حاشية البيجوري على السمرقندية، تعاليق على الكافي في علمي العروض والقوافي، تعاليق حاشية المقولات للشيخ العطار، حال الأعياد والمواسم في مصر، حاشية شرح الأزهرية في النحو، حاشية الزنجاني في الصرف، حاشية اعجب العجب في شرح لامية العرب للزمخشري، نقد طبع رحلة ابن جبير، شرح منظومة الشيخ السلموني في العقائد، شرح نظم السمرقندية، معجم تتري عربي ، قاموس عربي فرنسي، قواعد اللغة العربية باللغة الفرنسية، ختم على متن الجوهرة، ختم على شرح القطر لابن هشام، رسالة عن اصل أسماء الناس والخيل والأصائل.

وفي سبتمبر **1855**م دخل في رحلة مرض اقعده عن الحركة فقد تعرض لشلل اصاب اطرافه السفلية وامتد إلى يديه ومع ذلك فقد ظل يعمل متحديا المرض بإرادة حديدية وكانت زوجته المصرية أم حسن التي رحلت معه إلى روسيا هي من تقوم برعايته خلال فترة مرضه ولكنها توفيت عام **1860**م ودفنت هناك وكان قد انجب منها ابن اسمه أحمد كان في العاشرة من عمره عندما توفيت أمه وكان والده لا يستطيع أن يقوم بتربيته نظرا لمرضه الشديد فادخله مدرسة داخلية وبعدها توفي الطنطاوي رحمه الله في عام **1278**هـ/**1861**م.

ودفن في مقبرة فولكوفو الإسلامية بجوار بطرسبرج والتي كانت بها مقابر المسلمين بعد رحلة خدم فيها الأدب العربي والروسي وترك بصمة في الثقافة الاوروبية الحديثة وكتب علي شاهد قبره: (هنا مرقد الشيخ العالم محمد عياد الطنطاوي وكان مدرس العربية في المدرسة الكبيرة الإمبراطورية ببطرسبورج المحروسة، وتوفي في شهر جمادي الثاني **1278** من الهجرة عن خمسين عاماً).

أما ولده أحمد فكان يصرف معاش والده وتزوج وانجب بنتا لكنه توفي عام **1880**م ودفن بجوار قبر أمه وتم إلحاق ابنته دار ايتام الاشراف باسم هيلانه واصبحت مسيحية.

وعكف شيخ المستشرقين الروس كراتشكوفسكي لمدة عشرة سنوات ليؤرخ كتاباً فريدا عن فضائل واثار الشيخ الطنطاوي وتجربته في روسيا معترفاً بفضله على الثقافة الاستشراقية في العصر الحديث واسماه (حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوي) وقد كتبه بالروسية وترجم إلى العربية بعد ذلك واعتمد كراتشكوفسكي على **15** مخطوطاً عربياً بخط الطنطاوي محفوظين بمكتبة جامعة بطرسبرج.